

المنهج السياسي

عند الإمام علي (ع)

الشيخ عبد الهادي عاصي



المنهج السياسي عند الإمام علي (ع)

الشيخ عبد الهادي عاصي

تقديم

سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله

بَازِلَ الْأَمِيرِ

مكتبة الحقوق محفوظة ومستجلة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



دار الحديث للثقافة والعلوم ش.م.م

طباعة - نشر - تأليف - تحقيق - ترجمة

مؤسسة تعنى بالنتاج الفكري وتواكب تطوره

ص.ب: ٥٥٥١ / ١١٣ الحمراء

هاتف: ٨٢٣٠٣٤ فاكس: ٦٠٣٢٧٩ بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

ومقدمتي خواطر...

كلمات في إمامنا العظيم الذي قال عنه جبران «علي* ولد في غير زمانه» ولكننا نقول ان علياً (ع) في نهجه هو الزمن لكل الأزمان، شرط ان نعرف أنفسنا ونحترم عقولنا.

هي كما قلنا كلمات نرسلها لذاك المسك السحيق في نهجه الأشم، حين يشع ضوء الآقاحي في روضه المستطاب...

واكف الريح ما زالت تصافح برقه في برد القشيب... وهزيع النجم ما زال يهتز لصهيل خيله... ودمه الزاكي وهو الأمير... ندَى يكتحل به كل ثائر حين نفهم هذا.. عندها نبداً بإستقراء علي..

امامي والفؤاد ما زال في شواظ حره، يرقب الزمان الذي كانت فيه خطبك على أمية عبثاً، وهي الآن علينا وعلى من ولاك حجة، وأنت الذي سألك الكل وكنت

الغني عن الكل... فأنت إمام الكل... كيف؟ الخليل
بن احمد خير ناطق شاهد..

مولاي أردت بهذه الكلمات جبراً ينطق على
القرطاس بولائي... فعلني أقترب من سن نورك
الأقدس، فتقبلها مولاي مني وأنت الكريم الجواد.

وأنا ما أردت التعريف بالكتاب فمولانا سماحة
السيد محمد حسين فضل الله قد اغنى وأوفى، ولكن
كانت فرصة لهذه الخلجات أن تطفوا، فطفت، فللمؤلف
الدعاء بطول العمر والتسديد في خدمة هذه الأمة ولك
أخي القارئ كامل المحبة والدعاء.

محمد حسين بزي

٩٦/١٠/١٩

تقديم لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (حفظ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين واصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

وبعد ، فإن هذا الكتاب « المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام » قد استطاع ان يعطي فكرة عن النقاط الحيوية في المنهج السياسي لدى الإمام من خلال اللقطات المتنوعة من كلامه في مختلف الجوانب الحية للعناوين السياسية في الحكم وحركة الواقع مع بعض المقدمات المفيدة في المصطلحات السياسية المتداولة ومعالجة الفكرة التي تتحدث عن رفض انفتاح الدين على السياسة بالطريقة التي تثبت العلاقة العضوية بين الدين والسياسة من خلال المفهوم الاصيل للسياسة التي تمثل النهج الذي ينظم للناس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين الرعية في علاقاتها ببعضها وبالدولة والحياة .

إننا نقدر لعزیزنا فضيلة الشيخ عبد الهادي عاصي هذا الجهد المشكور في توضيح هذه الأمور ونأمل له المزيد من التقدم العلمي والعطاء الثقافي والتحرك الرسالي في سبيل الدعوة الى الله ، مع كل محبتنا ودعاءنا له بالتوفيق والتسديد ورواج كتابه بين القراء .

والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٥ ربيع الثاني ١٤١٧ هـ

محمد حسين فضل الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
 واصحابه النجيبين وعلى جميع المؤمنين والمؤمنات
 وبعد فان هذا الكتاب في المنهج السياسي عند الامام علي عليه السلام
 قد استطاع ان يعطي فكرة عن انطلاقة الحيرة في المراحل السياسية
 لدى الامام من طلبة المصطلحات المتفرقة من كلود في مختلف المجالات
 بحيث للمؤلف السياسية في الحكم وفي حركة الواقع مع بعض
 المصطلحات السياسية المشدولة ومما يجتهد المؤلف ان يثبته
 هو رفض انتفاخ اليد على السياسة بالمرشدة التي نشأت السلطنة
 المعنوية بين اليد والسياسة من طلبة الممنوع الموعود للسياسة التي
 تمثل الشبح الذي ينظم للناس السلطنة بين الحكم والمحكوم وبين الرقعة
 في علاقتهما ببعضاً وبالدولة والحياة
 اننا نقدر لمرئيتنا فضيلة الشيخ عبدالحسين عاصمي هذا الجهد الثمير
 في تجميع هذه الاسرار و نأمل له المزيد من التقدم السليم
 والعطاء الشئلي والتمنات الرسالي في سبيل الدعوة البرائة مع كل
 محبنا ودعواتنا له بالشرف والشهيد حور واجل كن به بين القراء
 وادله المرفقة وصرحنا ونتم التوكيد
 ٥ ربيع الثاني ١٤١٧ هـ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأعز رسله سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين وبعد .

عندما تتطرق كلمة السياسة يتبادر إلى أذهان الكثير من الناس (المكر والخديعة والإحتيال واللف والدوران) .

بسبب ما لهذه الكلمة من سوابق سيئة . وهذا الإنطباع هو أمر متوقع بسبب السياسات التي إتبعها الحكام الذين تسلطوا وتحكموا بالبشرية إلى الآن .

وطبعاً هذه القاعدة لا يستثنى منها إلا القليل من الحكام العدول والرجال الريانيون الإلهيون الذين إعتدوا على الرسائل السأوية مع ماصاحبها من الهام وتسديد وتوفيق وتأييد رباني .

وبما لا شك فيه أن الإمام علي (ع) كان واحداً من أولئك الشخصيات القليلة والنادرة التي وضعت منهاجها السياسي على أساس الرسالة السأوية وعلى أساس الفضائل والكرامة الإنسانية بغض النظر عن قول القائل وعتب العاتب لأن هذه السياسة قد كلفته كثيراً وغالباً كما جعلت له أعداء كثيرين كما قال هو (عليه السلام) (ما ترك لي الحق من صديق) وقفوا في وجهه وحاربوه بكل الوسائل المتاحة عندهم ولكن مع ذلك بقي مجسداً لمنهاج

مليء بالفضائل والقيم وبقي قنوة للآخرين وبقي معلماً للأجيال وشمعة تضيء الدرب للتائهين على طول التاريخ السياسي الإسلامي وقد ظهر أناسٌ آخرون إنتقدوا الإمام (ع) بسبب إتباعه لهذا الإسلوب السياسي وبسبب إعتياده على الحق والفضيلة بحجة إن ذلك يخلق المشاكل ولا يحقق ما يطمحون إليه . فكانوا يقترحون عليه أحياناً أن يعمل على جذب القوي غير الصالحة بعدة أساليب ووسائل منها المال .

ولكن المبدأ الذي كان يؤمن به (ع) ويدعو إليه لم يكن يقبل التغيير ، والتحول متأثراً بهذه الآراء والاقتراحات وهذا التفكير لمصلحي .

وهكذا كان للإمام علي (ع) موقف وكلمة في كل من تلك المراحل والفترات التي عاشها كما كان له رسائل تصلح أن تكون نموذجاً للتطبيق في المراحل والمواقف المماثلة وعلى مر العصور ، إذ إن كل لحظة وكل أزمة وكل منعطف كان يتطلب نوعاً خاصاً من التعامل واتخاذ المواقف وقد شاهدنا كل ذلك في مسيرة الإمام علي (ع) وسياسته وأقواله وأفعاله .

وبعون الله وتوفيقه شرعت في كتابة هذا البحث (حول المنهج السياسي عند الإمام علي (عليه السلام)) كي نستفيد في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها أمتنا الإسلامية من آراء الإمام السياسية في كافة مجالات حياتنا

وقد قسّمت هذا البحث إلى عدة فصول تحدثت عن المفهوم الحقيقي للسياسة ومعناها لغة وما هو الفرق بين الوعي السياسي والثقافة السياسية ثم ذكرت بضرورة الوعي السياسي في الأمة لما

له من دور كبير في إيجاد الثورات ضد الأنظمة الظالمة .

ثم تحدثت عن دور السياسة في إصلاح المجتمعات وإفسادها وتوصلت إلى نتيجة وهي ضرورة وجود نظام صالح مسدد من قبل الخالق عز وجل لأن الأنظمة الوضعية لا تستطيع أن تحقق السعادة للإنسان .

كما تحدثت عن صفات الزعماء السياسيين من خلال كلام الإمام علي (ع) .

ثم تحدثت عن عدالة النظام والحكم في الإسلام وأهميتها ومفهومها ومسؤولية القادة إتجاهها وختمت هذا البحث بمقاطع من كتاب الإمام علي (ع) لمالك الأشتر الذي يعتبر كما يقول العلامة الشريف الرضي (قدس سره) أطول عهد كتبه الأمير (ع) إلى أحد عماله على بلد من بلدان الخلافة الإسلامية آنذاك .

كما يوجد في هذا البحث الكثير من جوانب الفكر السياسي للإمام علي (ع) هذا الفكر الذي يعكس بعض ملامح التجربة الرائدة والمريرة للإمام (ع) في الحكم الإسلامي .

وختاماً ، ليس عيباً إن يؤخذ على البحث مأخذ أو انتقاد لأن الكمال لله وحده وإنما العيب على من أبصر خطأ ولم يرشد إلى صوابه وعلى من أرشد إلى الصواب ولم يتدارك خطاه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد الهادي عاصي

بيروت في ١٠/٩/١٩٩٦م

الفصل الأول

المفهوم الحقيقي للسياسة

١- معنى كلمة السياسة :

السياسة لغة : من السَّوَّسَ بمعنى الرياسة ، وساس الأمر سياسة أي قام به ، وساس الأمور أي دبرها وقام بإصلاحها .

والسياسة : قادة الأمم ومدبروا شؤونها العامة (المعجم الوجيز) .

فالسياسة هي القيام بالأمر بما يصلحه ، فهي تتناول كل ما يتعلق بحكم الدولة وإدارة العلاقات الخارجية ، وتعنى أيضاً الشؤون العامة والأحداث .

والتقانون السياسي : هو مجموعة القوانين التي تحدد النظم الحكومية وتعنى العلاقات بين السلطة والمواطنين .

لذا يمكن تعريف علم السياسة بأنه علم حكم الدولة ، أو دراسة المبادئ التي تقوم عليها الحكومات والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالدولة الأخرى .

وهناك تعريف حديث للسياسة وهو (السياسة هي فن حكم المجتمعات الإنسانية) .

أما على الصعيد الديني فالسياسة هي : التحرك من أجل رعاية الناس وتأمين مصالحهم وتخليصهم من واقع سيء إلى واقع أفضل

قال رسول الله (ص) إلا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

فالرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنهم (ميزان الحكمة - ج ٤ / ص ٣٢٧)
ويقول الإمام علي (ع) إلتقوا الله في عباده وبلاده فإنك مسؤولون حتى عن البقاع والبهاائم (ميزان الحكمة ج ٤ - ص ٣٢٦)

٢ - نظرة المجتمع السلبية إلى السياسة :

طبقاً لما يفهمه الناس عن السياسة . هناك إتجاه شائع في فهمها ومعناه الخداع والتضليل والاحتيال والمكر ويقولون أن السياسة لم تدخل شيئاً إلا أفسدته .

ولكن نقول هذه النظرة خاطئة بلا شك إذا لا يمكن أن نحكم بفساد السياسة والسياسين بشكل مطلق بسبب أن بعض الحكام وفي أزمنة معينة وظروف معينة قد أسأؤوا الممارسة السياسية وننسى أن الأنبياء (ع) كما سنرى من إبراهيم إلى داود وموسى وعيسى ومحمد (ص) كانوا في طليعة القادة السياسيين الذين غيروا المجتمعات وبنوا أسس إنسانية وألهمه لحكم الدول وصناعة الحضارات ولكن في نظر أصحاب المصالح والمنافع يعتبر الإسلام السياسي الذي أتبعه معاوية بن أبي سفيان والذي يُسمى اليوم (بالميكافيليه) * : يقولون هذا الإسلام لا مفر منه في عالم السياسة ثم يعتبرون كل من لا يعمل به فاقداً للسياسة والدهاء والوعي .

* وهي مذهب سياسي يعود للمفكر الإيطالي (نيكولا ميكيافلي) أوضحه في كتابه الأمير ويقضي لإعتبار الأمور الأخلاقية كالغش والخداع والمراوغة والدهاء وسوء النية ليست عيباً في تحقيق الأهداف دون إعتبار نداء الضمير ومبادئ الدين والأخلاق على أساس (الغاية تبرر الوسيلة)

ولكن نحن نرى أن هذا الأسلوب مرفوض في دائرة الإنسانية
والمعنويات التي تتحدد فيها القيم على أساس الفضائل لأن المكر
والخدعة الذين تعتمد عليهما مثل هذه السياسات الساقطة
والمنحرفة يجبران الإنسان إلى الكفر كما يقول الإمام علي (ع) :
« والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية
القدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غُدْرَة فجرة وكل فَجْرَة كُفْرَة
ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالملكيدة ولا
استغفر بالشديدة » . (نهج البلاغة - س/٢١٨ - رقم النص/ ٢٠٠) .

٣ - الفرق بين الوعي السياسي والثقافة السياسية:

الوعي السياسي هو : الفهم السياسي للواقع والأحداث والتطورات والقدرة على تحديد موقف واضح وذلك إستناداً إلى قاعدة فكرية معينة تفرز وجهة نظر سياسية .

إذاً لا يمكن قياس الوعي السياسي بكثرة المعلومات السياسية وبالمقدرة على الربط بينهما ولا يمكن قياس الوعي السياسي بالمعرفة السطحية لما يحدث من مستجدات ولا بحفظ الأخبار السياسية ونقلها إلى الآخرين من دون تحليل ونقد .

ولكن تحديد الموقف هو الأساس فمواقفنا السياسية يجب أن تركز على ما يحقق المصلحة الإسلامية ويخدم الأهداف الرسالية لنتمكن من نشر رسالتنا وتحقيق الوضع الاجتماعي والسياسي والإقتصادي والمادي الأفضل للبشرية .

فالمسلم الواعي هو الذي يهتم بأمور المسلمين فيعمد إلى دراسة الأهداف والأساليب التي تمارسها السياسة العالمية ومدى تأثيرها على الأنظمة والتيارات السياسية في مناطق المسلمين .

والتعمق في كل ذلك يحتاج إلى متابعة يومية وقراءة متمعة وبدقة للمذكرات السياسية والصحف والتحليل والإستماع إلى الأخبار لكي يتمكن من القيام بعملية الربط بين الأحداث السياسية ومعرفة خلفياتها وقنواتها التي تربطها بما يجري في

العالم .

فالثقافة السياسية تحصل من خلال قراءة التحليلات السياسية بدقة والنظر إلى مجريات الأوضاع بعقلية واعية ومتفتحة ومتزنة .

٤ - ضرورة الوعي السياسي :

لقد قام أعداء الإسلام بوضع خطط مبنية على سياسة التجهيل وأبعاد الأمة عن الوعي السياسي لأنهم يعرفون أن إنتشار الوعي الحقيقي يعني نهاية السيطرة السياسية الإستكبارية والإستعمارية في البلاد الإسلامية .

لذا ينبغي أن نفهم مجتمعنا جيداً والمجتمعات الأخرى كذلك والفئات المتصارعة والمتحالفة وقوى التأثير والعقبات الموجودة وطبيعة الصراع .

كما ينبغي أن نتوقع النتائج وهذا كله يحتاج إلى الثقافة والوعي السياسي .

فإذا كان هدفنا إقامة الدين وتطبيق الأحكام الإلهية فهذا يتطلب فهم الأوضاع السياسية والإعداد الكافي والتخطيط المتقن .

يقول الإمام الباقر (ع) : « ينبغي للمسلم أن يكون مالكا لنفسه عارفاً بأهل زمانه ومقبلاً على شأنه فاتقوا الله ولا تضيعوا سراً » .

فالمعرفة بأهل الزمان تعني أن يتوفر في الإنسان عنصر الوعي السياسي كي يتمكن من الإهتمام بأمور الناس ؛ لأنه كيف يمكن أن يمارس الإنسان السياسة الحقبة بدون وعي وثقافة سياسية ولاشك أن الثقافة السياسية غير الهادفة للقيام بعمل سياسي

هادف ستكون مضيعة للوقت وظلم للناس وفي نفس الوقت فإن العمل السياسي بدون ثقافة سياسية يعتبر تخبطاً وارتجالاً وسيكون ضرره أكثر من نفعه .

٥ - أهم الأسس للوعي السياسي :

أولاً : ينبغي الإطلاع والإلمام بمبدلولات المصطلحات والتعابير السياسية المستعملة يومياً في الصحف والمجلات والتحليل الإخبارية وأهمها :

١- طريق ذات الشوكة : تعبير عن صعوبة العمل التغيير في المجتمع .

٢- التغيير : إزالة الوضع القائم من جذوره .

٣- الجاهلية : كل حكم غير إسلامي .

٤- الدولة على ثلاثة أنواع :

إقليمية : هي التي تقوم وحدتها على أساس الجغرافية .

قومية : هي التي تقوم وحدتها على أساس القوم أو اللغة أو التاريخ .

فكرية : هي التي تقوم وحدتها على أساس الفكر .

٥- الليبرالية : مصطلح سياسي برز في أوروبا في القرن السابع عشر ويعني الصراع بين الطبقة البرجوازية ضد القوى التقليدية ويهدف إلى إقامة حكومة برلمانية وتأكيد حرية العبادة والصحافة منح حق التمثيل السياسي للمواطنين وإلغاء كل الإمتيازات .

٦- البروليتارية : وهي الطبقة العاملة الزراعية أو الصناعية والتي لا تملك رأسمال أو عقار وتضطر هذه الطبقة إلى العيش من

أجر العمل .

وهذه الكلمة يونانية تعني (الذرية والنسل) .

٧- الرأسمالية : مذهب مادي إقتصادي يسمح لكل فرد بالسعي وراء رغباته الخاصة والحصول عليها بدون أي قيد (حرية فردية) .

٨- الشيوعية : مذهب سياسي أنشأه (ماركس وإنجلز) هدفه القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة ويؤمن بأن التغيير لا يتم إلا بالقوة وكانت بدايته سنة (١٩٠٣) في روسيا .

٩- الإنتهازية : مذهب سياسي يهدف إلى إنتهاز جميع الفرص والمناسبات السانحة لتحقيق الأهداف .

١٠- الديموغرافية : علم دراسة السكان (الولادات) الوفيات (الهجرة) .

١١- الراديكالية : مصطلح سياسي يشير إلى برامج الأحزاب السياسية الإصطلاحية واليوم تعني كل دولة أو حركة أو حزب ينادي بتغيير جذري في الدولة والحكم .

١٢- الديبلوماسية : كلمة يونانية وتعني (مهمة حفظ الوثائق والاتفاقات الخارجية) ، الوثيقة تسمى دبلوما ويسمى حاملها ديبلوماسي ، وتعني ممارسة التمثيل الخارجي ، والديبلوماسية سلوكاً هي أسلوب من الحذر والحيلة واللباقة في المعاملات الدولية وبالتالي التخلص من المزالق والمآزق والبراءة في الوصول

إلى الهدف .

١٣- كلمة (القيتو) لاتينية الأصل تعني (أنا أُمْنَع) وأصبحت اليوم تعني حق إمتلاك النقض أي حرية الرفض بدأت في أواخر الحرب العالمية الثانية .

١٤- الميكيا فيلية : مذهب سياسي يعود إلى المفكر الإيطالي (نيكولا ميكيا فيلي) ويقضي باعتبار الأمور الأخلاقية كالغش والخداع والدهاء وسوء النية أموراً ليست عيباً في سبيل تحقيق الأهداف من دون إعتبار لنداء الضمير أو الدين على أساس (الغاية تبرر الوسيلة) .

١٥- العلمانية : تسعى لوضع القوانين البشرية المتغيرة باستمرار والمتعارضة مع بعضها البعض موضع التنفيذ لذا فهي تهدف إلى عزل الدين عن النظام .

١٦- الفيدرالية : نظام سياسي يعني قيام إتحاد بين دولتين أو أكثر بقيادة مركزية فتصبح شخصية الدولتين الخارجية واحدة مع إحتفاظ كل دولة ببعض من الإستقلالية الداخلية .

١٧- الكونفيدرالية : نظام سياسي يعني قيام إتحاد بين دولتين أو أكثر بحيث تحتفظ كل من الدولتين بإستقلالها التام .

١٨- الديكتاتورية : مذهب سياسي يقوم على الفرد الذي يمارس السلطة المطلقة من دون أي مسؤولية أو رقابة من أحد .

١٩- الإمبريالية : مذهب سياسي مبني على إستعمال القوة

لإنشاء إمبراطورية بقصد التوسع والسيطرة وإستعمار الشعوب وذلك بالقوة السياسية والعسكرية .

٢٠- الأوتوقراطية : كلمة يونانية تعني الحكم الفردي (المستبد) ليست موجودة نظرياً أما عملياً فموجودة من خلال سياسة الإرهاب التي تمارسها أكثر الأنظمة في العالم .

٢١- الديموقراطية : كلمة يونانية / ديمو : الشعب قراطيس : الحكم أي حكم الشعب ومعناها أن يكون للشعب دوراً كبيراً في الحكم عن طريق ممثلين .

٢٢- البيروقراطية : أي حكم المكاتب وهي حالة كبار الشخصيات التي تدير الدولة شكلياً وهدفها إذلال الناس وتضييع الوقت .

٢٣- البلوتوقراطية : وتعني سلطة الأغنياء حيث يكون الإنتخاب من قبل أشخاص يدفعون نسبة عالية من الضرائب (الإنتخاب الضريبي) وتحصل اليوم في معظم المؤسسات الصناعية الغربية بشكل خاص .

٢٤- الثيوقراطية : تعني قيام دولة دينية شعارها أن السلطة مستمدة من الله تعالى الذي يختار الملوك ويوجه الحوادث ويسمى (الحق الإلهي) .

٢٥- الإستقراطية : وهي طبقة إجتماعية تعبر عن حالة سياسية وقوامها أصحاب الإمتيازات الخاصة كالمال والجاه

والمراكز الاجتماعية التي نتوارثها أباً عن جد .

٢٦- البرجوازية : تعني طبقة إجتماعية مرفهة تضم كبار أصحاب المصانع والتجار والموظفين ظهرت في فرنسا عام ١٧٩٨م ، بعد الثورة الفرنسية وهي قريبة من « الإرسنقراطية » .

٢٧- الإرهاب : نوع من الشتيمة السياسية وهي إستعمال غربي حالياً يُطلق على الحكومات أو الحركات السياسية المناهضة للغرب .

٢٨- الإستعمار : هو قيام دولة بفرض سيطرتها على دولة أخرى خارج حدودها وبغير رضا أهلها .

٢٩- الفاشية : تعني الخزم والقوة كلمة إيطالية نشأت بعد الحرب العالمية الأولى وشعارها الزعيم لا يخطئ .

٣٠- القومية : جملة من المفاهيم أو العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية ومن هذه العوامل ؛ وحدة الأرض واللغة والتاريخ والدين والمصالح .

٣١- اصل اليمين واليسار :

يعود أصل التسمية الى ما بعد الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ ، فبمحض الصدفة كان الثوريون المتطرفون يجلسون الى يسار البرلمان ، فشاع هذا الاصطلاح وما زال شائعاً حتى اليوم .

والمقصود باليمين فئة المتشدددين الرافضين للتغيير ؛ واليساريون هم فئة طامحة الى الثورة على التقاليد الاجتماعية البالية .

٣٢ - الفرق بين الثورة والانتقال :

الانقلاب هو تغيير مفاجئ في نظام الحكم ، وغالباً ما يقوم به جنرالات الجيش ، وهو يعتمد على تغيير الأشخاص الحاكمين بأشخاص يطمحون الى التحكم بمراكز النفوذ .

أما الثورة فإنها وليدة إرادة شعبية عبر شخصيات ثورية تغير المبادئ القديمة وتبدلها بقيم أخرى أفضل .

٣٣ - الحرب الباردة :

يستعمل هذه اللفظ للإشارة الى الصراع الدولي الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي ، وكان هذا الصراع بعيداً عن الحرب العسكرية المباشرة إلا في بعض الأحيان كما في كوريا وفيتنام ، كما تناولت هذه الحرب مجالات الحياة كافة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٣٤ - اللجوء السياسي :

وهو انتقال انسان ملاحق في دولته الى دولة أخرى بسبب آرائه السياسية أو الدينية أو القومية ، وعلى الدولة التي لجأ اليها هذا الشخص أن تستقبله والا ترغمه على العودة الى دولته ، وعليها أيضاً أن تؤمن له الحماية حفاظاً على حياته .

٣٥ - الأحكام العرفية :

هي عبارة عن مجموعة قوانين استثنائية تلجأ اليها الدولة في حالات الطوارئ كاندلاع ثورة ، أو تعرض البلاد الى غزو خارجي ، كما أن ثمة حكومات تلجأ الى الاحكام العرفية لتقمع الحريات فتحاكم المتظاهرين مثلاً ، كما تقضي الأحكام العرفية بتجميد الدستور كما انها تشل سلطة البرلمان وتؤدي الى فرض رقابة مشددة على وسائل الاعلام .

ومن أهم الأسس للوعي السياسي :

- ٢- ضرورة تتبع الأخبار المحلية والإقليمية والدولية .
- ٣- النظرة إلى الأحداث التي تقع بشمولية وربطها بمؤثراتها المختلفة . لأن الحدث السياسي قد يكون مرتبطاً بأوضاع سياسية غير محلية إقليمية ودولية . وقد لا يكون مرتبطاً أصلاً .
- ٤- معرفة العوامل المختلفة والمؤثرة في الحدث السياسي الإقتصادية منها والإجتماعية والعسكرية والسياسية والإقليمية .
- ٥- تحديد القوة الرئيسية وإمكانياتها ومدى تأثيرها على الحدث السياسي .
- ٦- علينا أن نعرف ماذا يريد منا الأعداء وإستيعاب وفهم مخططاتهم (من عرف لغة قوام أمن مكرهم) .
- ٧- محاولة التخمين بالتوقعات والنتائج والتعود على طرح الاحتمالات للحدث السياسي وتطوراتاه .

- ٨- في عالم الأحداث السياسية ليس من الضروري أن يكون الظاهر هو الحقيقة ؛ لأن الاختلاف بين الدول ليست حقيقة في كل الحالات لأن بعضها قد يكون مفتعلاً لمصالح ؛ وأيضاً الزيارات التي يقوم بها بعض الرؤساء لبعض الدول لا تعني الإتفاق والنجاح دائماً .
- ٩- أخيراً الدقة في غربلة ومطالعة المعلومات والتحليلات والمعطيات السياسية لئلا نقع فريسة بين أيدي مصادر الإعلام الموجه والمغرض من قبل الأعداء .

٦ - الوعي السياسي ..

وكيفية إيجاد الثورات الإسلامية :

بعدما تسلّم الإمام علي (ع) الخلافة سعى الأمويون ومن يسايروهم لمنع إستقرار حكومة الإمام لأنها لا تتماشى مع أهوائهم .

وبعد ذلك تسلّم معاوية السلطة ومارس الضغوط والإرهاب ضد كل من ليس من شيعته ثم جاء من بعد الأمويين العباسيون ونسجوا نفس المنوال ثم تبدلت الخلافة وتحولت إلى ملكية موروثية وأصبح الحكم يشبه حكم أكاسرة فارس وأباطرة الروم وفراعنة مصر وهكذا كانت تحدث بين الحين والآخر ثورات يقوم بها رجال مؤمنون واعون خائفون على دينهم ومجتمعهم وكان أبرز هذه الثورات :

ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ثم ثورة التوابين وثورة المدنية وثورة المختار الثقفي وثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) وثورة عبد الله ذو النفس الزكية (الإنفاضات الشيعية / المؤلفه هاشم الحسيني) .
إلى أن حدثت الثورة الإسلامية المباركة في إيران فكانت ثورة كبرى سياسية ثورية فرضت نفسها على العالم كله وإستطاعت أن توجه الضربة القوية للأساليب والمخططات الإستعمارية وساعدت بشكل كبير جداً على إيجاد الوعي السياسي لدى

- المسلمين وجميع المضطهدين في العالم .
- ومن ظواهر الوعي السياسي الذي افرزته الثورة :
- ١- بناء القاعدة الشعبية والتي تعتبر الأداة الأساسية للعمل الثوري .
 - ٢- إيجاد وعي إسلامي وعمل ثوري في مختلف دول العالم الإسلامي وغيره .
 - ٣- فضح كثير من الأضاليل السياسية والتي كانت متعارفة عند أغلبية الناس .
 - ٤- العمل على تجاوز كل الحساسيات والقوميات والإقليميات وتركيز مقولة أن الإسلام هو الأساس والمنطلق وهو الهدف في كل شيء .
 - ٥- العمل على تهيئة وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطغاة ويقضي على سلطانهم .
- وهذا الواجب مكلف به المسلمون جميعاً أينما وجدوا من أجل خلق ثورة سياسية إسلامية ظافرة ومنتصرة (الحكومة الإسلامية - للإمام الخميني (قله) ص / ٣٤) .

٧ - وهكذا كانت ..

سياسة الإمام علي (عليه السلام) :

قال سلام الله عليه : « الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه » . (نهج البلاغة / رقم النص / ٣٧) .

وقال أيضاً : « أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتلوا على كظلة ظالم ولا يغيب مظلوم لألقيت حبلها على غاريها ولستقيت آخرها بكاس أولها ولأفيتها دنياكم هذه أزهده عندي من عطفة عنز » . (نهج البلاغة - رقم النص / ٣١ من خطبة الشقشقية) .

وقال عليه السلام : « اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا إلتماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعصلة من حدودك » . (من كلام له عليه السلام رقم ١٣١ ص ١٨٩ شرح الدكتور مهدي الصالح) .

الفصل الثاني

دور السياسة في إصلاح المجتمعات

١- العلاقة بين الدين والسياسة :

كثير من الناس يظنون أنه لا دخل للدين بالسياسة لأن الدين في نظرهم مقدس ومحترم أما السياسة فهي كذب وإحتيال ... ثم يقولون ؛ ! ، لا تدخلوا الدين في السياسة ! ، ولا تنزلوه من مقامه المقدس إلى مقام الدنس ... وهم بذلك يقصدون فصل الدين عن الحياة وعن السياسة وعن التربية والإقتصاد وعن كل شيء في الحياة لا علاقة له مباشرة بالدين . ثم يحصرون دور الدين في القضايا الفردية على إعتبار أن الدين علاقة فردية بين الإنسان وربه .

فيقولون : ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فأنت مؤمن بدينك داخل الكنيسة والمسجد أما خارجهما فلا علاقة للدين بحياتك ولا بنظامك لأن الدين حسب زعمهم رسالة قديمة !!! .

ويقولون أن النظام والحكم قديماً كان يصلح على أساس الدين وذلك عندما كان الإنسان يعيش عصور التخلف والبربرية والجاهلية ... أما اليوم حيث عصر التقدم والحضارة والثقافة والعلم . فإن الدين غير صالح للتطبيق وبالأخص في مجال الحكم .

هذه المقولة نتجت في الواقع عن سوء العلاقة بين رجال الدين النصارى في أوروبا وبين رجال العلم والفكر فحاول الإستعمار

إستغلالها كي يعمم الأمر على كل الأديان السماوية ومن جعلتها الإسلام لكننا نعلم علم اليقين إن هذا الدين الإلهي لم ينزل إلى الأرض كي يوضع على الرفوف وفي زوايا المكتبات والمساجد وإنما جاء ليكون ثورة تغيير شاملة وكاملة جاء ليحكم وليطبق وليجسد الأمن والسعادة والعدالة بين الناس .

قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ (الحديد / ٢٥) .

وقال أيضاً : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون / الظالمون / الفاسقون ﴾ (المائدة / ٤٤-٤٥-٤٧) .

وهكذا أطلقوا عبارة أن الدين مخدر للشعوب وهذه المقولة أراد الإستعمار من ورائها تأكيد أن الدين يعيد الإنسان إلى مرحلة التخلف والتأخر وأن الدين يدعو إلى الإستسلام أمام الظلم وعدم التحرك لرفضه ؛ مع العلم أن هذا الأمر كان ينطبق على ما حصل في أوروبا من نزاع بين أهل العلم ورجال الدين الذين كانوا يمارسون صكوك الغفران ويبيعون الجنة بالأموال ، ولكن لا ينطبق هذا الأمر إطلاقاً على خاتم الأديان السماوية لأن الإسلام كان ثورة على الظلم .

قال تعالى : ﴿ ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾

(هود / ١١٣)

كما إن الإسلام دعا إلى الصبر وليس إلى الهزيمة والإستسلام .
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران / ٢٠٠) .
فالإسلام لم يدار أي ظلم بل كان الرسول (ص) والأئمة
الطاهرون يحرضون المسلمين على ضرورة رفض الظلم وقتال
الظالمين حتى ولو كانوا مسلمين ، أو يدعون الإسلام ولكن
للأسف كثير من المسلمين لم يجسدوا تعاليم الله ولم يمثلوا
لأوامره ولم يتعدوا عن نواهيه في حياتهم اليومية فأصبحوا
متخلفين والذنب ذنبهم وليس ذنب الإسلام .

يقول الشاعر معروف الرصافي :

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه	يَصْنُدُ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت	أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمَتَقَدِّمِ
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله	فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم في الإسلام إلا فريضة	وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام المجد والعلی	بصائر أقبامٍ عن المجد نُؤْمِ
ودك حصون الجاهلية بالهدى	وَقَرُوضِ أَطْنَابِ الضَّلَالِ الْخُفْمِ

٢ - ضرورة وجود نظام في المجتمع :

ورد في حديث شريف عن النبي (ص) : إذا كنتم ثلاثة في سفر فاجعلوا أحدكم أميراً عليكم . من هنا نستطيع أن نفهم مدى الأضرار البالغة التي كان ينظر إليها رسول الله (ص) من جراء عدم وجود قوة حاكمة على المجتمع تحل النزاعات والمشاكل ...

ولو لم تكن هناك ثمة نصوص تقضي بوجوب وجود قوة حاكمة لكفى العقل في الإلزام به . لأن الحكم من ضرورات الاجتماع فالنشاط الإنساني قد أصبح متشابكاً بفعل الحياة الاجتماعية فلا بد له من قوة توجهه الوجهة السليمة والصحيحة وبدون هذه القوة يتسبب هذا النشاط فيطغى البعض من أفرادها على البعض الآخر ويتجه لإتجاهات غير محمودة تؤول به في النهاية إلى الضمور ومن ثم تنتهي بالمجتمع إلى الانحلال .

وقد صرح أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة بضرورة وجود حكومة قوية تحفظ حقوق الناس وترعى مصالحهم .

كما وقف عليه السلام في وجه فكرة الخوارج الذين كانوا يدعون بعدم الحاجة إلى الحكومة مع وجود القرآن الكريم بين المسلمين وكان شعارهم (لا حكم إلا لله) وصحيح أن مفاد هذا الشعار هو أنه لا حق للإنسان بالحكم لأن تشريع الحكم لله وحده ولكن رد عليهم الإمام سلام الله عليه قائلاً : وأنا أقول

كذلك (لا حكم الا لله) اي وضع القانون والحكم ليس الا لله ولكن يقولون بان الحكومة والزعامة لله ايضاً وهذا باطل لأن حكم الله لا بد ان يجري على يد الناس ولا بُد للناس من حاكم صالح او طالح لذلك رد عليهم قائلاً : « كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة الا لله وانه لا بد للناس من امير ير او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع بها الكافر ويبلغ فيه الأجل ويجمع به الفيم ويقا تل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر . (نهج البلاغة المخططة - رقم ٤٠ / - من ٨٢ / - شرح الدكتور صبحي الصالح) .

إذاً ، لا بُد للناس من حاكم بر أو فاجر لأن إنعدام السلطة يعني الفوضى الماحقة ولما كان الإسلام نظاماً صالحاً فإن عنايته بالعدالة والنظام فاقت عنايته بالعبادة والدعاء . لماذا ؟ . لأن غاية العبادة إزالة الفحشاء والمنكر من المجتمع كي يعيش الناس بأمن وسلام . لذا ليست السياسة دخيلة في فكر الإسلام بل هي جوهرية وغاية تعاليمه .

ففي رأي الإسلام الحكم ضروري حتى لو كان جائراً لأن لا يخلو من منافع إلى جانب مفاسده بينما الفوضى شرٌ كلها فيكون الجور خيراً منها .

قال الإمام علي (ع) في حديث له حول عناية الإسلام بالسلطة : « السلطان وزعة الله في أرضه » .

وقال في موضع آخر : « إذا أدت الرعية إلى الوالي حَقَّهُ وأدى الوالي إليها حَقَّها عَزَّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجدت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويشتت مطامع الأعداء » . (ميراث الحكمة - ج ٢ / ص ٣٦٠) .

٣ - خطر الحكام بغير الكفوئين على المجتمع :

في الواقع الحاكم يجب أن يكون حارساً مؤتمناً على حقوق الناس ومسؤول أمامهم بمعنى أن الحاكم للناس وليس الناس للحاكم وكما يقول أحد الشعراء :

ليس الأغنياء ملكاً للرعاة إنما هم يخدمون الغنم

يقول الرسول (ص) : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .
هنا لكلمة الرعية مفهوماً إنسانياً جميلاً في الإسلام ؛ وتعريفها لغة : من مادة رَعِيَ أي حفظ وحرس ؛ والرعية : عامة الناس الذين عليهم راع يدبّر أمرهم . (المعجم الوجيز - ص / ٢٦٩) .

والنبي (ص) أطلق هذه الكلمة - الرعية - على الناس من جهة أن الحاكم في الإسلام يجب أن يتعهد بحفظ الناس وحراستهم ورعايتهم في أنفسهم وأموالهم وحقوقهم وحررياتهم ومصالحهم ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء / ٥٨) .

والمراد بالآية ولاية الأمر على بعض التفاسير أمرهم الله تعالى أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم الإلتزام بالدين والشرعية .

فالقرآن الكريم يرى الحاكم حارساً وأميناً على المجتمع وأن الحكومة العادلة هي أمانة على عاتق الحاكم يجب أن يؤديها إلى الأمة .

يقول الإمام علي (ع) لعامله على آذريجان :

« وإن عملك ليس لك بطعمه ولكنه في عنقك أمانة وانت
مسترعى لمن فوقك ليس لك أن تقتات في رعيته » . (نهج البلاغة) .
ويقول عليه السلام في مكان آخر يبين فيه صفات الحاكم :
« وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء
والمفانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته
ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف
للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب
بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة .

(ميزان الحكمة - ج ١ - ص ١٧٦) (ونهج البلاغة - رقم النص / ١٣١)

إذا فالتصدي للحكم يجب أن يكون ذا ماضٍ مشرق متحرراً
من النفاق والأهواء النفسية وعليه فلا ينبغي لنا أن نتخدع بالحكام
وخاصة الذين لهم سوابق تاريخية منحرفة لأن هذا النوع من
الحكام سوف يجلب الويلات للناس في النهاية كما سيؤدي
بالإسلام والمسلمين إلى الفناء والدمار وقد رأينا نحن الكثير من
هذه النماذج في الماضي ولا يزال موجود منها في الحاضر فعلى
الناس أن يكونوا على حذر من الرضوخ للذل والمسكنة
والإستسلام لهؤلاء الحكام بل عليهم عصيانهم والتمرد عليهم
ومواجهتهم وأخذ زمام الأمور منهم وهذا هو واجب كل الناس
الذين يريدون الحياة بعز وشرف وكرامة لأن الحكام المتجبرين لن

يلبوا أبداً هذه المطالب لشعبهم فعلى الناس أن ينتزعوها منهم
إنتراعاً .

يقول الإمام علي (ع) : « ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم
بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم
باطلهم وهم أساس الفسوق وحاسن العقوق إتخذهم إبليس مطايا
ضلال وجنداً بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم
استراقاً لعقولهم ودخولاً في عيونكم » .

(نهج البلاغة - رقم الخطبة / ١٩٢ - ص / ٢٨٥)

٤- مسؤولية الحاكم تجاه شعبه :

ومسؤولية الشعب تجاه حاكمه :

من مسؤولية الشعب أن يعطي الحاكم ما له عليه من حقوق فيطيعه إذا أمر ويجيبه إذا دعا وينصحه إذا كان في حاجة إلى ذلك وعلى الحاكم إذا حصل على كل هذا أن يستغله في إصلاح شؤون شعبه ولا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جو صالح للعمل وطبعاً يوجد هكذا جو بتحقيق الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون البلاد والعباد والذي يعبر عن هذه الرغبة المشتركة هو تعاون الوالي مع الرعية على القيام بذلك كله ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات بعد أن يأخذ كل منهما ما له من حقوق ولكن حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تُخضعه نصيحتها ولا تلبّي له دعوته إذا دعاها فحين ذاك يهمل الوالي مصالح الرعية وهذا يؤذن بشيوع الظلم وسيطرة الظلمة وفساد وانحراف الدولة .

لذلك على الحاكم أولاً أن يعتبر نفسه أباً للجميع وليس متحكماً أو مستعبداً فالحكم يجب أن يكون تحمّل مسؤولية وتكليف وليس فقط تشريف كما قد يعتقد البعض .

لذلك لابد أن يستهدي الحاكم بمبدأين :

الأول : العدل بين الناس .

وثانياً : الرحمة للجميع كما يعلمنا ذلك إمامنا علي (ع) حيث يقول في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ؛ قال :
 « فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وأبسط لهم وجهك
 وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك
 لهم ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسألكم
 معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة
 فإن يعذب فانتم اظلم وإن يعف فهو اكرم » .

(نهج البلاغة - ج ٣ / ص ٣٨٢)

الفصل الثالث

مصدر الحكم والهدف من إقامته

١- طبيعة الحكم

أ- الحرية في اختيار النظام :

حقوق الرعية على الحاكم أحياناً تستمد من طبيعة الحكم الذي يمارسه الحاكم .

فهناك حكم يقوم من أجل عائلة من العائلات حينئذ يعمل الحاكم لأجل هذه العائلة ويقوم بتسخير جميع مرافق الدولة لها ولن يقوم عليه سلطانها .

وهناك حكم يقوم لصالح بعض الطبقات وحينئذ يعمل الحاكم لأجل هذه الطبقة وهنا لا تحصل الرعية على شيء إلا إذا كان فيه ما يعود بالخير على تلك الطبقة التي يعمل لها الحاكم وهناك حكم يقوم من أجل الرعية وحدها عندما يعمل الحاكم للرعية وحدها .

وطبعاً هذا اللون من الحكم يوجد فيه حقوق للرعية على الحاكم تحدثنا عنها في النقطة السابقة .

ولكن الذي يجدر الإهتمام به من جديد هو حرية الرعية في اختيار قائدها وقيادتها وعدم ممارسة الضغوط وعدم الإكراه في هذه القضية .

الإسلام أعطى الإنسان مبدأ الحرية وهذا المبدأ حظى باهتمام

كبير في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . والسيرة والسياسة الإسلامية الأصيلة .

فالإسلام لا ينظر إلى البشر كأدوات عديمة الإرادة يرتبها الآخرون كيفما شاؤوا لأن الحرية تعد من الإمتيازات الخاصة للإنسان بل من أوضح مزاياه على الإطلاق .

يقول الإمام علي عليه السلام : « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً » . (نهج البلاغة - الرسالة ٢١ / من وصية الإمام لولده الحسن (ع)) .

لذلك فإن سلب حرية الإنسان يُعدّ في الأساس من أكبر المظالم التي تقلل من شأن أسمى قيمية وتنكر لكرامته التي ينبغي لها التحكم بمصيره وعلى هذا فقد شاهدنا هذه الحقيقة عملياً في سيرة الرسول (ص) والإمام علي (ع) والذي هو أكثر أفراد الأمة وعياً للإسلام وأقرب الناس إلى النبي (ص) وأعلمهم بمستقبل الأمة .

لقد قام عليه السلام بترسيخ هذه المبدأ في مواضع كثيرة من كلامه كما تحدث مع الناس بمنطق التفكير الحر لأن الإختيار الواعي والبعيد عن الضغوط والأجواء المفتعلة والتقليد الأعمى أساس كل عمل من هذه النوع لأن البيعة ليست أمراً يقرره الآخرون . فالإنسان مسؤول عن تقرير مصيره ويجب عليه أن يُشخص بعقله الذي وهبه الله إياه ويقرر ويختار ... ومن الأمثلة

على ذلك :

* حين أراد الناس بيعة الإمام (ع) بعد مقتل عثمان ... قال (ع) : « دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا كاحدكم ولعلي اسمعكم واطوعمكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزير خير لكم مني امير » . (نهج البلاغة - ص ١٣٦/ شرح الدكتور صبحي الصالح) .

نعم لم يشهد التاريخ حاكماً يتحدث هكذا مع الذين هرعوا إليه لمبايعته والإنصياع لأوامره وليس هذا أمراً عجيبيّاً عند الإمام (ع) لأن الخلافة والسلطة ليست الهدف عنده بل وسيلة وهو لا يرغب فيها أصلاً .

فنحن لا نرى لديه دافعاً إلا المسؤولية والحفاظ على حرمة الإسلام لأن منهاج عمله ينطوي على أمر واحد فقط وهو رضا الله ومصلحة عباده وللناس أن يبايعوا ما يريدون فالمهم أن تتم هذه البيعة عن وعي وعلى أساس التشخيص الصحيح وهذا مما أكدّه الإمام (ع) دائماً وكل ذلك مع غض النظر عن كفايته وحقه المؤكّد بالخلافة .

هكذا كان الأسلوب السياسي للإمام علي (ع) في الحكم منذ اليوم الأول وحتى النهاية .

ومن المؤكد أن هذه الأسلوب مرفوض لدى السياسيين المحترفين وطلاب الزعامة والتسلط لأن الهدف عندهم مخالف وهو التحكم والجلوس على كرسي الخلافة .

ولكن البقاء والجلوس لأيام قلائل على كرسي الحكم عند الذين ينظرون إلى الكون من أبعاده الأزلية والأبدية ويعتبرون حكومة الحق أساساً لكل شيء والملك الخالد محوراً لكل الفضائل لا يدفعهم أبداً للعمل من أجله لأنه في نظرهم لا يستأهل ذلك .

٢- من هو الحاكم الصالح :

لنصيب الولاية والقيادة بعض الخصائص التي تجسدت في أشخاص معينين من أهل البيت (ع) فأصبحوا ورثة وأوصياء لهذا المنصب كما صرح بذلك أمير المؤمنين (ع) بقوله : « لا يقاس بال محمد (ص) من هذه الأمة احد ولا يُسوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدأ هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة » .

فالحاكمة هي منصب إلهي لا يستحقه كل إنسان وتستوجب شروطاً منها :

- * العلم باكبر حد يمكن .
 - * ومنها العصمة : أي الحصانة القطرية من الذنوب .
 - * ومنها النص من النبي (ص) وهذا ما تؤمن به بشأن الإمام علي (ع) وأبنائه الأئمة الطاهرين حتى خاتمهم القائم (عج) .
 - كما إن الإمام علي (ع) وضع شروطاً في نهج البلاغة ويجب أن تتوفر في الحاكم الصالح وهي :
- ١- أن يكون كريم النفس لئلا تدفعه الطماعية وشدة الحرص إلى العدوان على أموال المسلمين .
 - ٢- أن يكون عالماً لأنه قائد المسلمين الاعلى لذا يجب أن

يهديهم ولو كان جاهلاً لأضلّهم .

٣- يجب أن يكون رجب الصدر لئلا العريكة .

٤- أن يكون عادلاً في إعطاء الأوامر فيسوي بين الناس في العطاء ولا يفضل قوماً على حساب آخرين إستجابة لشهوات نفسه وميول قلبه .

٥- أن يكون نزيهاً في القضاء فلا يرتشي لأن ذلك يؤذّن بذهاب العدل في الأحكام .

٦- أن يكون عالماً بالسنة فيجري الحدود ولو على أقرب الناس إليه ويعطي الحق من نفسه كما يطلبه من غيره وفي هذا قال عليه السلام :

« وقد علمتم انه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلّهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم . ولا المرتشي بالحكم فيذهب بالحقوقي ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة » .

(نهج البلاغة - رقم النص / ١٣١ - شرح الدكتور صبحي الصالح - ص / ١٨٨)

٣- التعاون بين الحكم والشعب :

يقول الإمام علي (ع) : « واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقوق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لإلفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الأدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس ؛ إلى أن يقول : فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ثم يقول ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم » . (نهج البلاغة رقم النص / ٢١٦ - ص / ٣٣٢ شرح الدكتور صبحي الصالح) .

والمستفاد من هذه الأقوال أنه لا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جو صالح للعمل .

وطبعاً بوجود هذا الجو ويتحقق الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون البلاد والعباد والذي يعبر عن هذه الرغبة المتبادلة

هو تعاون الوالي مع الرعية من القيام بذلك كله .
ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات
بعد أن يأخذ كل منهما ما له من حقوق .
لذلك فعلى الرعية أن تعطي الوالي ما عليها من حقوق فتطيعه
إذا أمر وتطيعه إذا دعا وتنصحه إذا استنصحتها وعلى الوالي إذا
حصل على ذلك كله أن يستغله في إصلاح شؤون رعيته ولكن
حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تمحضه نصيحتها ولا تلبي
دعوته إذا دعاها فإن الوالي سيكون مضطراً لأن يمضي وقته في
رعاية مصالح نفسه ويهمل مصالح رعيته وينتج عن ذلك شيوع
الظلم وسيطرة الظلمة وإنحراف وفساد الدولة .

٤- الإمام علي (ع) القصة :

روى نوف البكالي : أن الإمام علياً (ع) ألقى في الكوفة خطبة بعد أن وقف على صخرة وعليه مدرعة من صوف وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وبعد أن أوصى الناس بالتقوى والورع وتحدث عن فناء الدنيا وزوالها وتحدث عن زوال القوى التي تحكمها ، قال عليه السلام : « أيها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أمهم وأدبت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواج فلم تستوثقوا لله انتم اتوقعون إماماً غيري يطا بكم الطريق ويرشدكم السبيل » . (نهج البلاغة رقم النص / ١٨٢ - ص / ٢٦٢ - شرح الدكتور مسبحي السالح)

ويقول عليه السلام : « فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق وإنهم لعلى منزلة الباطل » . (نهج البلاغة ص / ٣١١ - رقم / ١٩٧) .

وقال عليه السلام حين نقض طلحة والزبير البيعة : « والله ما انكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه » . (نهج البلاغة ص / ٦٣ - رقم النص / ٢٢) .

وقال عليه السلام حين إتهمه سعد بن أبي وقاص بالحرص على الخلافة أجابه قائلاً : « بل انتم والله لأحرص وأبعد وأنا أخص وأقرب وإنما طلبت حقاً لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه وهكذا سلام الله عليه يتساءل في مكان آخر : « هل الجدير بالحكم إمام الهدى أم إمام الردى وعدو النبي أم ناصره » .

(نهج البلاغة آخر عهده إلى محمد بن أبي بكر رقم النص / ٢٧ - ص / ٣٨٣)
وهكذا لكي يوضح الأمور أكثر ويقربها إلى أذهان الناس
وينبهمهم إلى مصير الإسلام والمسلمين تحدث سلام الله عليه عن
نفسه بإعتباره شخصاً حريصاً يسير في طريق الصواب دون أن
يصاب بأدنى ضعف لأنه قد ظلم في مجتمعه وغصب حقه
المسلم به . ومع ذلك فقد ضحى (ع) بكل وجوده من أجل رفع
راية الإسلام عالياً وتقبل ورضي كل أنواع الظلم في سبيل هذا
الهدف ومن أجل الدفاع عن هذه الحقيقة .

٥- صفات الزعماء السياسيين عند الإمام (ع) :

١- الأنبياء هم القدوة :

قيادة وزعامة المجتمع أسمى مسؤولية يتحملها الإنسان لذلك ينبغي للمتحمّلين لهذه المسؤولية أن يكونوا من أفضل الناس وأوفرهم حظاً في العلم والتقوى والفضيلة والأخلاق والبصيرة والسياسة وحسن الإدارة وغير ذلك من الخصال والسجایا بحيث يكونوا قدوة لغيرهم ومن الطبيعي أن أول من يتحمل ثقل هذه المسؤولية هم الأنبياء (ع) ثم الأئمة ومن بعدهم الرجال الصالحون ومن الطبيعي أن هذه الأسس السياسية تختلف عن السياسات السائدة في عالمنا اليوم والذي يرقى فيه أرذل الناس وأقلهم الحكم .

ولامامنا علي (ع) يَبَيّن في جانب من خطبته المسماة بالقاصعة أحوال الأنبياء الذين كانوا في طليعة القادة القانونيين والشرعيين للبشر كما يشير سلام الله عليه إلى مبعث موسى وهارون اللذين دخلا على فرعون وهما يرتديان لباساً من صوف ودعواه إلى الخضوع لأمر الله وإلى ما أجابهما به فرعون محتقراً إياهما ومستنداً إلى ما يملكه من ماديّات ذهب وغيره جعلها مقياساً لتقييم الشخصية وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من إحترام للأغنياء وتحقير للفقراء فقال عليه السلام : « ولو أراد الله تعالى

حين بعثهم أن يفتح لهم كنوز الأرض ومعادن العقيان (نوع من الذهب ينمو في معدنه) ومقارس الجنان وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل ولو فعل لسقط البلاد وبطل الجزاء واضمحلت الأشياء ولما وجب للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمتم الأسماء معانيها ولكن الله تعالى جعل رسله أولي قوة في عزائهم وضعفة في ما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى . (الخطبة رقم / ١٩٢ - ص / ٢٩٢ من نهج البلاغة) .

نعم لقد كان أنبياء الله حكاماً وقادة ولكن بلا عروش فنشأوا في أسر مستضعفة فواسوا المستضعفين وخضعوا لربهم وتحدوا المستكبرين على مر التاريخ وخطموا قصورهم وجبروتهم .

١ - النبي موسى (ع) : يشير الإمام علي (ع) في إحدى خطبه إلى سيرة الأنبياء الذين كانوا الحكام الحقيقيين للأمة .

فيصف في جانب من خطبته زهد النبي موسى (ع) فيقول : « وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله حيث يقول : ﴿ رَبِّ إِنِّي لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ ، والله ما سألته إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلّة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه » . (الخطبة رقم / ١٦٠ - ص / ٢٢٦ نهج البلاغة شرح الدكتور صبحي الصالح) .

ب - النبي داوود (ع) : ثم تحدث (ع) عن النبي داوود فقال : « وإن شئت ثلثت بـداوود سلام الله عليه صاحب المزامير

وقارىء اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول
جلساته ايكم يكفيني بيعها وياكل قرص الشعير من ثمنها » .

ج - النبي عيسى (ع) : ثم يتابع (ع) فيقول : « وإن شئت
قلت في عيسى بن مريم (ع) فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس
الحشن وياكل الجشب وكان اداامه الجوع وسراجه بالليل القمر
وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاريها وفاكهته وريحانة ما
تنبت الأرض للبهائم ولم تكن زوجته تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال
يلعنه ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه » .

(نهج البلاغة ص / ٢٢٧ - رقم / ١٦٠ شرح الدكتور صبحي الصالح)

د - الرسول الأعظم (ص) : ثم قال (ع) : « فتأسى بنبيك
الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فإن فيه أسوة لمن تأسى
وعزاء لمن تعزى واحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص
لإثره قضم الدنيا قضمًا ولم يُعرها طرفاً إلى أن يقول عرضت عليه
الدنيا وأبي أن يقبلها وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه
وحقر شيئاً فحقره وصغر شيئاً فصغره ولو لم يكن فينا إلا حُبنا ما
أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاً لله
ومحاداة عن امر الله . ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على
الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده
ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه » ... الخ .

وبعد أن تحدث عليه السلام عن زهد النبي القائد (ص) وعدم

إهتمامه بالدنيا ختم حديثه بالتفاخر بتأسيه بالنبي (ص) متطرقاً إلى زهده وتقواه (ع) قائلاً : « والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل : الا تنبذها عنك فقلت : اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى » .

(نهج البلاغة ص / ٢٢٩ - رقم النص / ١٦٠)

نعم هكذا كان أنبياء الله تعالى وأصفياؤه كما وصفهم أمير المؤمنين (ع) الذين طافت أسماؤهم وشهرتهم كافة أرجاء الأرض وتحدثهم الدول الكبرى ووقفت في وجههم تلك الدول التي شيدت قصورها على جماجم المستضعفين وشربوا دماء شعوبهم ابتداءً من إهرامات مصر مروراً بإيوان كسرى وانتهاءً بقصور الشام التي تفوق التصور والخيال والتي ظلت على مر التاريخ وثائق حية تشهد على جرائم أولئك الطغاة الظلمة .

ولكن الأنبياء سلكوا طريقاً آخر غير هذا الخط ؛ لأن الأنبياء أرادوا أن يعلموا البشرية كيفية قيادة الناس وأين يكمن سر إدارة أمور البشر وخلص المحرومين .

وفي هذا العصر خرج نور وحيد شع في ظلام هذا الليل الطويل ليوقظ الأمة من سبات عميق وليعيد لها مجدها وعزتها وكرامتها بعد أن سحقته وديست بالأقدام ذلك النور هو تلك الثورة الإسلامية المباركة التي إنطلقت من أرض الإسلام في إيران فأصبحت بارقة أمل يتطلع إليها المستضعفون والمحرومون في الأرض .

٦- السياسة الأخلاقية في الإسلام :

تنمية الأخلاق والسجايا الإنسانية السامية والإمتناع عن الإضطرابات الأخلاقية التي تدفع الإنسان إلى إصدار ردود الفعل حين يغضب من عدوه من الأمور التي إهتم بها الإمام (ع) ودائماً حتى في أشد المواقف المتأزمة أثناء الحرب تلك المواقف التي يجبر فيها حب الإنتقام الإنسان إلى فعل كل شيء وكدليل على ذلك نذكر حادثة وقعت في معركة صفين :

حين قطع معاوية وجيشه من أهل الشام الماء عن الإمام علي (ع) وأصحابه ، أمر الإمام بإخراج الشريعة من تحت سيطرة الأعداء ولو بالقتال . لأن الحياة في إنتصار الحق والإستشهاد في سبيل الله والممات في الهزيمة والرضوخ للذل ؛ ودارت معركة طاحنة سيطر على أثرها جيش الإمام على المشركة ؛ فاقترحوا عليه أن يقابلهم بالمثل ويحرم معاوية ومرزقته من الماء فرفض الإمام (ع) هذا الإقتراح قال : « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف يكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملأنة » (نهج البلاغة ص / ٥٥٩ - رقم / ٤٧٤) .

وهناك موقف آخر للإمام (ع) وذلك عندما سمع بعضاً من أصحابه يسبون أهل الشام فقال لهم : « اني أكره لكم أن تكونوا مستأينين ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقتلتم مكان سيئكم إياهم » ؛

« اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به » (نهج البلاغة ص / ٣٢٣ - رقم النص / ٢٠٦) .

لم نسمع ولم نر في تاريخ العالم عن سياسي أو قائد عسكري يسلك هذا السلوك مع عدوه اللدود لأن غريزة حب الانتقام والقضاء على العدو من الأمور التي لا تقبل أقل قدر من التساهل والتسامح في منطق أصحاب القوة والخصوص في ميادين الحرب والقتال ولكن الشخصيات المملوكية كالإمام علي (ع) هي التي تلتزم فقط بالأصول والمبادئ الأخلاقية ... وهنا يحق لك أن تتساءل ؟ ! .

هل في السياسة أخلاق ؟ أم في الحرب أخلاق ؟ .
فما أصعب تصديق ذلك ولكن حين يحكم الإيمان ويمسك المؤمن بزمام السلطة والقيادة والأمور فتصديق ذلك يصبح أمراً سهلاً وطبيعياً .

وقد تقول مثل هذا الأسلوب قد يجلب بعض الأضرار والخسائر للسياسي وقد يجعل العدو أكثر جسارة وجرأة عليه . ولكن الذي يجب الإعتماد والإستناد إليه طبقاً للرسالة السماوية كعمل مؤثر في المدى البعيد هو إحياء الفضيلة والخصال الإنسانية بغض النظر عن الموقع والزمان والمكان لأن هذا ما تعتمد عليه فلسفة خلق الإنسان .

لذا كان المبدأ الأساسي عند الامام عليه السلام مراعاة الأصول الأخلاقية سواء فيما يتعلق بشخص الحاكم أو ما يتعلق بكرامة الشعب وشخصيته ، فقد كتب سلام الله عليه في عهده الى مالك الأشتر قائلاً : « وليكن أبعد رعيته منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته » الى أن يقول عليه السلام : « ولا تعجلن الى تصديق ساع فإن الساعي غاش وان تشبه بالناصحين » .

- فهذه الفقرات من عهد الإمام (ع) تنص على أنه على الحاكم :
- ١ - الحيلولة دون إشاعة الفحشاء التي نهى القرآن عنها وذلك بستر العيوب قدر الإمكان وبالحد الذي لا يسبب المفساد .
 - ٢ - على الحاكم الحذر من الحقد والعداوة وحب الانتقام .
 - ٣ - على الحاكم مكافحة استراق السمع وجمع الأخبار وما يشجع على نمو هذه الرذيلة بين الناس وطرده الساعين في جمع الأخبار لكي تستأصل هذه الطبيعة ويقضى عليها .
 - ٤ - على الحاكم أن لا يُصدّق ما يدعيه الآخرون بسرعة لأن المفسدين كثيرون ، وليست الأقوال كلها عن حُسن نية ولو كانت بلهجة ناصحة ، بل عليه أن يتعامل مع الآخرين (حتى لو

كانوا أعدائه) على أساس قدر كاف من التحقيق وبعد أن يستجوب شهود العيان ليصون بذلك الحق ويدحض الباطل .

الفصل الرابع

المقالة في النظام السياسي الإسلامي

١- أهمية العدالة في نهج البلاغة :

العدل لغةً : الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه .

(المعجم الوجيز ص /٤٠٩)

والعدل في نظر الإمام (ع) هو الأصل الذي يستطيع أن يحقق توازن المجتمع ويرضي جميع أفرادهِ ويهب لهم السلام والأمن والطمأنينة والرضى ؛ أما الظلم والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى نفس الظالم ، فكيف بالمظلومين والمحرومين .

والعدالة هي إحدى القيم التي أعادت إلى الحياة الاعتبار للإسلام لم يوص أتباعه بالعدالة فحسب ولم يكتفي منهم بإجرائها وتطبيقها فقط بل رفع من قيمتها ووزنها وثقلها في أفكار الناس وهذا ما سمعناه من لسان الإمام علي (ع) عندما سأله رجل : العدل أفضل أم الجود ؟ . هذا الرجل سأل الإمام عن خاصيتين من الخصائص الإنسانية .

فالإنسان هارب من الظلم وشاكر للإحسان ؛ قد يبدو لأول وهلة ولأول نظرة أن يكون الجواب وبكل سهولة أن الجود أفضل من العدل ؟ لأن العدالة هي رعاية لحقوق الآخرين وعدم التعدي عليها وعدم تجاوزها .

أما الجود فهو أن ينشر الإنسان بيده حقوقه المفروضة له على غيره فالعادل حافظ للحقوق غير متجاوز عليها . أما الجواد فهو

يقدم ويضحى بحقوقه للآخرين .

فالجود أفضل والجواد أنبل .

هذا إذا كانت مقاييسنا هي المقاييس الأخلاقية الفردية فعليها يصبح الجود أصل معترف لشخصية الإنسان وأسمى سمه لكماله وأعلى علاقة لرقى روحه .

ولكن الإمام (ع) يجيب بعكس ذلك فهو يُرجّح العدل على الجود وذلك بدليلين :

١- العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها من جهتها .
أي معنى العدالة أن تلاحظ الحقوق الواقعية والطبيعية فتعطي لكل شخص ما يستحقه حسب إستعداداته وتحمله وحيثئذ يجد كل شخص مكانه في المجتمع .

٢- العدل سائس عام أما الجود فهو عارض خاص : أي العدالة هي قانون عام يدير جميع شؤون المجتمع فهو سبيل يسلكه الجميع أما الجود فهو حال إستثنائي خاص ولا يمكن أن يصبح قانوناً عاماً وإذا كان كذلك لم يحسب المرء جواداً آنذاك .

فالعدل بنظر الإمام علي (ع) هو الأصل الذي يستطيع أن يصون توازن المجتمع ويرضيه ويهب له السلام والأمن والطمأنينة والإستقرار .

أما الظلم والجور والإضطهاد والتمييز الطبقي والعنصري لا يرضى حتى نفس الظالم والذي يظلم من أجله فكيف بالمظلومين

والمحرومين . فالعدل سبيل عام يسع الجميع ويصل بهم إلى حيث
الطمأنينة والاستقرار والسعادة النفسية .

أما الظلم فهو طريق ضيق لا يصل حتى بصاحبه إلى ما يريد .
والعدالة على قسمين :

١- العدالة الخلقية .

٢- العدالة الإجتماعية .

العدالة الخلقية هي أساس العدالة الإجتماعية إذ لو لم يتصف
الأفراد بالعدالة فكيف يمكن لأي مجتمع أن يتصف بها ؟ . أليس
المجتمع مجموعة من الأفراد ؟ .

وعلى هذا فإن انتظار العدالة الإجتماعية مع عدم تنمية الإيمان
والأخلاق والتقوى وخشية الله وهم من الأوهام . ومن هنا تنشأ
مشاكل المجتمعات البشرية المتمثلة في تسلط الجبارين والظلمة
وينشأ التمييز بين الأفراد فتتعدم العدالة .

لذلك لابد من بناء الإنسان وتربية أفراد عدول ليكونوا أهلاً
لتسلم زمام أمور المجتمع وبذلك يمكن أن نأمل تحكيم العدل
وإستقرار العدالة الإجتماعية وهو بالضبط ما عكسه كلام الإمام
علي (ع) عندما قال : « بشئ الزاد إلى المعاد العدوان على
العباد » . (نهج البلاغة ص / ٥٠٧ - رقم / ٢٢١) .

فبنظر الإمام العدالة هي وظيفة إلهية فلا يجوز أن يقف المسلم

العارف بالإسلام وقفة المتفرج عند ترك الناس العدل وجوئهم إلى الجور والظلم والتمييز الطبقي .

يحدثنا التاريخ أن عثمان بن عفان قد وهب قسماً كبيراً من الأموال العامة للمسلمين إلى أقربائه وذويه في أيام خلافته ولما أخذ الإمام علي (ع) أزمة الأمور طُلب إليه أن لا يعيد النظر في هذه الأموال وأن يفض الطرف عما مضى ولكنه (ع) أجاب :

« الحق القديم لا يبطله شيء والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته فإنه في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » . (نهج البلاغة ص ٥٧ رقم ١٥) .

هنا عليه السلام يقصد أن في العدل سعة خاصة تسع الجميع وتشملهم ولكن من كان مريضاً متخماً لا يسعه العدل ؛ فليعلم أن مكانه في الجور والظلم أضيق عليه من مكانه في العدل والقسط .

المعنى : إذا ضاق تدبير الأمور على الوالي بالعدل فتدبير الأمور بالجور أضيق عليه لأنه حينئذ سيكون في مظنة من الناس وكلما بلغ مبلغاً من شهواته يعطش إلى أمور أخرى لم يبلغها فيعطش أكثر وأكثر كالذي يشرب الماء المالح .

٢- عظم التضحية بالهدالة :

يقول السياسيون : إن إيجاد الأعوان وتأسيس الأحزاب وسد الأفواه بالمال من الوسائل الضرورية لحسن سير السياسة والتدبير كما كان يصنع معاوية .

ولكن الإمام علي (ع) كان العدو للدود لهذه الوسائل والأدوات الضرورية .

بل كان هدفه وأمله أن يكافح هذه السياسة وطبيعي حينئذ أن يتألم أرباب المصالح والطامعين منه منذ اليوم الاول للإستلامه الخلافة . وذلك الألم يجزّهم إلى التخريب وخلق الإضطرابات والفتن والقلاقل . لهذا فقد أقبل على الإمام (ع) أحباؤه الخيرون المخلصون وطلبوا إليه من باب النصيحة أن يعدّل من سياسته هذه لمصلحته كما يتصورون كما إقترحوا عليه إن يريح نفسه من صراع هؤلاء الطامعين قائلين له : ما ضرّك لو سكّت عن المساواة اليوم من أجل (المصالح) ثم قالوا له : يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم وأستمل من تخاف عليه من الناس بالمال ١١ وهم بذلك ناظرين إلى ما كان يصنع معاوية . ولم يكن رؤساء القبائل في العراق يطمعون بأكثر من هذا .

ولكن الإمام (ع) أجابهم قائلاً : « اتامروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله ما أطوره به ما سمر سمير وما ام نجم

في السماء نجما ؛ لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله ؛ إلا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله (نهج البلاغة ص ١٨٣ / رقم ١٢٦) .

وهكذا فقد صارت الشام ملجأ لمن يغضب عليه الإمام لخيانة خانها في عمله أو ظلم جزه على نفسه وصارت الشام مطمحا لمن يريد الغنى والمنزلة الاجتماعية .

بالفعل فقد فعلت سياسة معاوية فعلها في مجتمع الإمام فأقدم رؤساء أصحابه على الخيانة وتخاذلوا عن نصرته فلا يجيبونه حين يدعوهم ولا ينصرونه حين يستنصرهم وما أكثر خطبه (عليه السلام) وكلماته التي أعلن فيها شكواه منهم فقال في إحدى خطبه : « يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال لوددت أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سدماً قاتلكم الله لقد ملئتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجزعتموني نغب التهام انقاماً وافسدت علي رأي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراساً واقدم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها وأنا ابن العشرين وها انذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع » .

(نهج البلاغة رقم الخطبة / ٢٧ / ص / ٦٩)

وقد كان (ع) يعرف كيف يجعلهم يميلون إليه لو اراد فيعطيههم الأموال ويجعلهم على رقاب الناس ويرضي غرورهم القبلي ولكن ذلك كان ينقلب به إلى جبار يدعم ملكه بالسيف والمال بدل أن يكون أباً للجميع يدعم سلطانه قلوب الناس ولقد قال لهم مرة : « واني العارف بما يصلحكم ويقيم اودكم (أعوجاجكم) ولكن لا ارى اصلاحكم بإفساد نفسي » .

٣- الهروب من العدالة :

الصراحة وعدم المجاملة في تطبيق العدل تولد مشكلة تتمثل في أن طلاب الدنيا لا يتحملون تطبيقه فيديرون ظهورهم عنه طلباً لتحقيق آمالهم الدنيوية . وبذلك يسببون أسفاً وحرناً في نفوس رجال العدالة كما يؤدون بالمجتمع إلى إنعدام العدالة .

ومع أن هذه السياسة مرفوضة من قبل أصحاب المصالح والغايات وأصحاب الدبلوماسية المحافظة والنفعيين .

ولكن إختلاف السياسة الإلهية عن السياسة الشيطانية يكمن في هذه النقطة لأن المحور في السياسة الشيطانية هو المصلحة وبلوغ الآمال والتي تتلخص في الماديات والشهرة والشهوة وحب الرئاسة في حين أن المحور في السياسة الإلهية هو الحقيقة والواقع الذي تفقد الماديات قيمتها في مقابله بل ويضحي من أجله بأعز الناس فكما إن الإمام (ع) ذهب شهيد العدالة فاستشهد في محرابه لشدة عدله علينا نحن أيضاً أن نضحي بالكثير من مصالحنا إذا أردنا للعالم أن يرى ثمار العدل وآثار الحقيقة ولكي تبقى الحقيقة خالدة .

هذا هو منطق الإمام علي (ع) وهذا ليس أمراً عجبياً بل العجيب أن يهرب الناس من العدل ومن أحضان الإمام الذي نشر العدل في كل مكان واللجوء إلى أحضان أعداء الحق ومحاربيه لنيل جائزة أو رشوة أو جاه أو منصب أو مال .

٤- العدالة والرحمة للجميع :

دائرة العدل والحق والرحمة تتسع في منطق الإمام (ع) حتى تشمل أبعد من حياة البشر فتسع الكائنات جميعها من حيوانات ونباتات وجمادات ويمكن لنا العثور على كثير من الشواهد على هذا الإدعاء .

قال عليه السلام : « اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم » . (نهج البلاغة) .

فالأرض والحيوان غير العاقل نحن لم نلاحظ على مر التاريخ أن هناك قانوناً يعطيها حقوقاً .

والمجتمعات المتحضرة تتشدد بالدفاع عن الحيوان إلا أن ذلك ليس سوى إدعاء ظاهري ؛ لأن إدعاء الدفاع عن حقوق الحيوان في مجتمعات تنتهك فيها حقوق الإنسان الذي يقوم ليطالب بحقه فتقوم الدنيا كلها عليه على أساس أنه ابن الجارية وهم أولاد الست هذا نفاق ودجل لذلك فهم لا يملكون دليلاً واقعياً صحيحاً ومصدقاً حقيقياً مقبولاً على أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان والحيوان . هذا في الأنظمة الوضعية .

ولكن نرى في ظل الأنظمة والرسالات السماوية كيف أن أفراداً من البشر مسلمين وغيرهم تمتعوا بعدالة علي (ع) الذي قال للمالك الأشر أحد عماله :

« واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تقتنم أكلهم فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » . (نهج البلاغة - ص / ٤٢٦ - رقم / ٥٣) .

هنا نلاحظ أن الكلام يدور حول الإنسانية ولا يقتصر على الإسلام لأن دائرة العدل واسعة تشمل كل إنسان سواء كان مسلماً أم مسيحياً أو يهودياً أو مادياً ملحداً .

فالظلم بحق أي إنسان ومن أي دين انتمى شيء مرفوض وغير مقبول .

٥ - من مسؤولية قادة العدل :

يقول الإمام علي (ع) : « اقنع من نفسي بان يقال هذا امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة هتفا علفها او المرسله شغلها تقمها تكثرش من اعدافها وتلهو عما يراد بها » . (نهج البلاغة ص / ٤١٦ - رقم ٤٥) .

ويقول عليه السلام أيضاً : « إن الله فرض على أئمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبئغ بالفقير فقره » .
(نهج البلاغة رقم النص / ٢٩ - ص / ٣٢٤)

من خلال هذه النصوص نرى أن مسؤولية قادة العدل تذهب إلى أبعد من مراعاة الحقوق القانونية الأولية وتبلغ حد الإحسان والزهد وترويض النفس .

فمن مسؤولية الحاكم الصالح أن يشارك رعيته في أمورهم ويعيش أوضاعهم فيتعرف على آمالهم وآلامهم وما يطمحون إليه ويعي حاجاتهم ومخاوفهم فيعمل لخيرهم كما يضع كل شيء مما يصلحهم موضعه ويشعرهم ذلك برعايته لهم وحياطته لأموالهم وعمله لصالحهم فحينئذ يدعمون حكمه بحبهم وإيثارهم له ويؤازرونه في السراء والضراء على السواء .

ولا يحصل أي شيء من هذا إذا ما أغلق الحاكم دونهم قلبه

كما يحصل في مثل هذه الأيام وأغمض عينيه فإنه حينذاك لا يعرف شيئاً من أمورهم ليعمل على إصلاحها لأنه بعيد عنهم وتكون عاقبة ذلك أنه يفقد حبه في قلوبهم كما يشعرون بأنه شيء غريب عنهم ومفروض عليهم كالحشرة الطفيلية التي تعيش على دماء الحيوان الذي تلتصق به .

ثم لو اتبع الحاكم أسلوب العدالة مع شعبه فسوف تنجذب اليه القلوب والنفوس ، وهذا مما يضمن تعزيز أركان حكمه وتوطيدها لذلك فالعدالة الاجتماعية هي بارقة أمل للشعب الذي حين يتأكد من عدم وجود محور غير الحق والعدل فسوف يسلك الطريق المنطقي المقبول لبلوغ أهدافه وتحقيق مطالبه ، في حين أن اليأس من العدالة يجبر الناس الى المكائد والاستغلال الخاطيء والرشوة والمخالفة ، وقد وصف أمير المؤمنين (ع) هذا المصير الذي ينتظر المجتمع الاسلامي بأنه كارثة حيث قال في خطبة له (ع) بعد بيعه الناس له في المدينة : « والذي بعثه بالحق لتبليبن ببلبة ولتغربلن غربلة ولتساطنن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قسّروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا » (نهج البلاغة) .

٦- قصة تُحدثنا عن عدالة علي (ع) :

عدالة علي (ع) عدالة فريدة لم يلاحظ مثلها على مر التاريخ فقد كان يطبقها حتى مع أقرب أفراد أسرته وبشكل حازم وصارم لأنها ناشئة من تقواه وزهده المنقطع النظير .

فقد أثبت الإمام علي (ع) أنه عملياً يلتزم بالعمل بما يقوله فيتحدث عن قضية حدثت له مع أخيه عقيل فيقول : « والله لقد رايت عقيلاً وقد املق حتى استماخني من بركم صاعاً ورايت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما اسودت وجوههم بالعظم وعادوني مؤكداً وكرر عليّ القول مردداً فاصفيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقاً طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيته من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من الما وكاد ان يحترق ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجروني الى نار مسجورها جبارها لغضبه اتئن من الأذى ولا اتئن من لظى » .

(من كلام له عليه السلام في نهج البلاغة ص / ٣٤٧ - رقم / ٢٢٤)

وهناك قصة ثانية حدثت مع الأشعث بن قيس الذي جاء ليرشي الإمام (ع) بالمال لقاء حاجة معينة يقضيها له فيقول (ع) : « واعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنائها كأنما عجننت بريق حية أو قيئها ، فقلت اصله ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها

مدية ! . فقلت : هبلك الهبول اعن دين الله أتيتني
تخدعني ؟ . امختبط أنت أم ذي جنة أم تهجر ؛ والله لو
اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله في نملة
أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في
فم جرادة تقضمها ما لعلني ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى .

فماذا يريد الظالمون سوى الدنيا وشهواتها وجميع المظالم
والرذائل تنبع من الشهرة والمال واللذة والرئاسة والعبارات الأخيرة
من كلام الإمام (ع) تعلمنا الإمتناع عن الظلم مهما كان بنظرنا
صغيراً في نملة أسلبها شعيرة ما فعلت وأن نفكر بوعي وهدوء
وأن نخاف الله عز وجل ونستعين به ونتوكل عليه وحده إنه
تعالى نعم المولى ونعم النصير .

وختاماً . . .

يقول عليه السلام لمالك الأشتر :

« ثم أعلم يا مالك إنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عبادته فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فمالك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت ؛

واشعر قلبك الرحمة للرعية والمهبة لهم واللفظ بهم ولا تكون عليهم سبعا ضارياً تقتنم أكلهم فإنهم صنفان : « إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والحط فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب إن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم وإبتلاك بهم ولا تنصب نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندم على عفوه ولا تبجح بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إنني مؤمر آمر فاطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير » .

إلى أن يقول عليه السلام :

« أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدهض حُجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد » .

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية (قدس سره).
- ٣ - نهج البلاغة شرح الدكتور حجي الصالح.
- ٤ - نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده
- ٥ - الحكومة الاسلامية للامام الخميني (قدس سره).
- ٦ - نظرية السياسة والحكم في الاسلام للسيد محمد حسين الطباطبائي.
- ٧ - في ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد مغنية.
- ٨ - المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية.
- ٩ - دراسات في نهج البلاغة للإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
- ١٠ - دراسات في السياسة والاحزاب لمحمد المجذوب.
- ١١ - دروس سياسية في نهج البلاغة للشيخ محمد تقي رهبر.
- ١٢ - في ظلال التشيع لمحمد علي الحسيني.
- ١٣ - ميزان الحكمة لمحمد الري شهري.
- ١٤ - في رحاب نهج البلاغة للشهيد مطهري.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٣
تقديم لسماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله (حفظه المولى)	٥
تمهيد	٧
الفصل الأول - (المفهوم الحقيقي للسياسة)	١٠
معنى كلمة السياسة	١١
نظرة المجتمع السلبية الى السياسة	١٣
الفرق بين الوعي السياسي والثقافة السياسية	١٥
ضرورة الوعي السياسي	١٧
شرح لمصطلحات سياسية	١٩
من أهم الأسس للوعي السياسي	٢٥
الوعي السياسي ودوره في إيجاد الثورات	٢٧
وهكذا كانت سياسة الإمام علي (ع)	٢٩
الفصل الثاني - (دور السياسة في إصلاح المجتمعات)	٣٠
العلاقة بين الدين والسياسة	٣١
ضرورة وجود نظام في المجتمع	٣٤
خطر الحكام غير الكفويين على المجتمع	٣٧

٤٠	مسؤولية الحاكم تجاه شعبه ومسؤولية الشعب تجاه حاكمه
٤٢	الفصل الثالث - (مصدر الحكم والهدف من إقامته)
٤٣	طبيعة الحكم والحرية في اختيار النظام
٤٧	من هو الحاكم الصالح
٤٩	التعاون بين الحاكم والشعب
٥١	الإمام علي (ع) القدوة
٥٣	صفات الزعماء السياسيين عند الإمام علي (ع)
٥٣	الأنبياء هم القدوة
٥٧	السياسة الأخلاقية في الإسلام
٦١	الفصل الرابع - (العدالة في النظام السياسي الإسلامي)
٦٢	أهمية العدالة في نهج البلاغة
٦٦	عدم التفضحية بالعدالة
٦٩	الهروب من العدالة
٧٠	العدالة والرحمة للجميع
٧٢	من مسؤولية قادة العدل
٧٤	قصة تحدثنا عن عدالة علي (ع)
٧٦	خاتمة
٧٩	المحتويات

وبعد ، فإن هذا الكتاب « المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام » قد استطاع ان يعطي فكرة عن النقاط الحيوية في المنهج السياسي لدى الإمام من خلال اللقطات المتنوعة من كلامه في مختلف الجوانب الحية للعناوين السياسية في الحكم وحركة الواقع مع بعض المقدمات المفيدة في المصطلحات السياسية المتداولة ومعالجة الفكرة التي تتحدث عن رفض انفتاح الدين على السياسة بالطريقة التي تثبت العلاقة العضوية بين الدين والسياسة من خلال المفهوم الأصيل للسياسة التي تمثل النهج الذي ينظم للناس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين الرغبة في علاقاتها ببعضها وبالدولة والحياة .

محمد حسين فضل الله

الجمهورية للثقافة والنشر



بيروت - لبنان ص. ب ١١٣/٥١٩٦ - الحمراء